

تفسير ابن كثير

فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ

(فلما نسوا ما ذكروا به) أي : أعرضوا عنه وتناسوه وجعلوه وراء ظهورهم (فتحنا عليهم

أبواب كل شيء) أي : فتحنا عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون ، وهذا استدراج

منه تعالى وإملاء لهم ، عيادا بالله من مكره ؛ ولهذا قال : (حتى إذا فرحوا بما أوتوا) أي

: من الأموال والأولاد والأرزاق (أخذناهم بغتة) أي : على غفلة (فإذا هم مبلسون)

أي : آيسون من كل خير . قال الوالي ، عن ابن عباس : المبلس : الآيس . وقال الحسن

البصري : من وسع الله عليه فلم ير أنه يمكر به ، فلا رأي له . ومن قتر عليه فلم ير أنه

ينظر له ، فلا رأي له ، ثم قرأ : (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء

حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) قال الحسن : مكر بالقوم ورب

الكعبة ؛ أعطوا حاجتهم ثم أخذوا . رواه ابن أبي حاتم . وقال قتادة : بغت القوم أمر الله ،

وما أخذ الله قوما قط إلا عند سكرتهم وغرثهم ونعيمهم فلا تغتروا بالله ، إنه لا يغتر بالله

إلا القوم الفاسقون . رواه ابن أبي حاتم أيضا . وقال مالك ، عن الزهري : (فتحنا عليهم أبواب كل شيء) قال : إرخاء الدنيا وسترها . وقد قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن غيلان ، حدثنا رشدين - يعني ابن سعد أبا الحجاج المهري - عن حرملة بن عمران التجيبي ، عن عقبة بن مسلم ، عن عقبة بن عامر ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب ، فإنما هو استدراج " . ثم تلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، من حديث حرملة وابن لهيعة ، عن عقبة بن مسلم ، عن عقبة بن عامر ، بهو قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا عراك بن خالد بن يزيد ، حدثني أبي ، عن إبراهيم بن أبي عبلة ، عن عبادة بن الصامت [رضي الله عنه] أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول : " إن الله [تبارك وتعالى] إذا أراد بقوم بقاء - أو : نماء - رزقهم القصد والعفاف ، وإذا أراد الله بقوم اقتطاعا فتح لهم - أو فتح عليهم - باب خيانة " (حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) كما قال : (فقطع

دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين)